مجلـــة بدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الأول(01) / العدد: الرابع(04) / فيفري 2020/ ص ص: 18-28

ضوابط اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم
النّقط ـ الشّكل ـ الاعجام

Arabic language controls before the descent of the Holy Quran
Points - shape - sizes

د. عبد القادر بن التواتي
جامعة عمار ثليجي – الأغواط–
الهاتف0662055997

تاريخ الإرسال: 2020/01/20	تاريخ القبول:2020/02/07	تاريخ النشر2020/02/24

ملخص البحث

موضوع رسم المصحف الشّريف وتعدّد قراءاته واختلاف النّحاة في توجيه هذه القراءات، وتساؤلُ بعضهم عن عدم اكتفاء النّحاة الأوائل بالعلامات التي وضعها أبو الأسود الدؤلي حين قال لكاتبه : "إذا رأيتني فتحت فمي فضع نقطة فوق آخر الحرف، وإذا رأيتني حسرت فمي فضع نقطة تحت آخر الحرف، وإذا رأيتني ضممت فمي فضع نقطة آخر الحرف" هذا ما نجده في المصادر. والاشكالية التي نطرحها في هذا البحث هي: هل عرفت العربية النّقط والشّكل والاعجام قبل نزول القرآن الكريم ؟ هناك روايات ونصوص وآراء وغيرها تحاول تفسير الأمر تفسيرا موضوعيا ،سنتعرض لها بالتّحليل والتّمييز للوصول إلى نتيجة صريحة، هذا ما سيلاحظه القارئ الكريم في المقال .

الكلمات المفتاحية: قراءة – نقط – شكل – اعجام.

Abstract :

The topic of the Noble Qur'an's drawing, the multiplicity of his readings, the difference in grammarians in directing these readings, and some questioned that the first grammarians were not satisfied with the marks that Abu Al-Aswad Al-Du'ali put when he said to his writer: "If you see me, I open my mouth, then I put a point above the last letter, and if you see me my mouth is put, then put a point under another The letter, and if you see me combine my mouth then put another point of the letter `` This is what we find in the sources - and the problem that we present in this research is: Did the Arabic know the points, the shape and the volumes, before the Holy Qur'an is gone? There are novels, texts, opinions, and others that attempt to interpret the matter objectively.

Keywords: legi - puncta - form - Aajam.

1 : معرفة العرب الكتابة :

قد ثبت أنّ الجزيرة العربية قد عرفت الكتابة ممّا يؤكّد أنّ بعض العرب كانوا على إدراك بالتّحليل الصّوتي، لأنّ الكتابة تحتاج إلى تمييز بعضها من بعض ومعرفة لواحقها وسوابقها وإدراك الأصوات الداخلية للكلمة، والإحاطة بأجزاء التركيب .

وفي المعجم العربي كلمات دالّة على عُدَّة الكتابة كـ:القلم والدواة واللوح والمداد والصحف والكتاب والمجلّة والعالم وغيرها، فقد جاء ذكر هذه الأدوات في الشعر الجاهلي، فوردت لفظة (**قلم**) في شعر عدد من الشّعراء الجاهليين . لبيد بن ربيعة وعديّ بن زيد العبادي والمرقش وأمية بن أبي الصلت، وغيرهم ممّن وقفوا على الكتابة ، وكانت لهم صلات بالحضارة وبأصحاب الدّيانات، وذكروا أنّ الخط يكون بالقلم.

قال عديّ بن زيد العبادي :

مَا تَبين الْعَيْن مِنْ آيَاتِها ☆ غَيْرَ نُؤَى مثل خطِّ بالْقَلَمِ[1]

قال أميّة بن أبي الصلت [2] **:**

قومي إياد لو أنّهم أمم ☆ أو لو أقاموا فتهزل النَّعَم

قوم لهم ساحة العراق إذا ☆ساروا جميعا والقطّ و**القلم**

وقال عبيد بن الأبرص [3]**:**

لِمَن الدِّيَارِ بِصَاحَةٍ فَحَرُوسِ ☆ دَرَسَتْ مِنَ الإقْفَارِ أيَّ دَرُوسِ

ألا أواريا كأن رسومها في ☆ مهرق خَلَقِ **الدواة** لَبِيسِ

قال لبيد بن ربيعة :

فقلت : ليس بياض الرأس من كبر ☆لو تعلمين ، وعند العلِمِ الخبرُ[4]

وقيل للمداد (نِقس) وقد وردت اللفظة في بيت شعر للشاعر (حميد بن ثور) حيث قيل إنّه قال :

لمن الديار بجانب الحبس☆ كخط ذي الحاجات بال**نّقس**[5]

وأشر إلى المداد في شعر لـ(عبد الله بن عنمة) حيث يقول :

فلم يبق إلاّ دمنة ومنازل☆كما ردّ في خطّ **الدواة مدادها**[6]

وقد جاء ذكر لفظة (**المداد**) في القرآن الكريم ممّا يدلّ على أنّ العرب قد عرفت المداد قال تعالى: قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٩

(الكهف) ولو لم تكن العرب تعرف لفظ (مداد) واستعملته في الكتابة لما ذُكِرَ هاهنا ، ولقالت العرب ما معنى مداد.

وقد أشير إلى الدّويّ أي المحابر في بيت شعر ينسب إلى ذؤيب الهذلي* :)

عرفت الديار كخطّ الدّويي ☆ حبّره الكاتب الحميريّ[7]

ووردت لفظة : (**الصحيفة**) في القرآن الكريم لمعرفة العرب معناها فوردت في كلامهم المحتج به في القراءات واللغة وهذا بيانها :

(أ)-في القرآن الكريم قوله تعالى : صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ (الأعلى)

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ٣ (البيّنة)

وبعدها. لو لم تعرف للصحف معنى لما ذكرت في القرآن لأنّ القرآن نزل بلسان عربيّ مبين.

(ب)- ثبت أنّ قريش كتبت صحيفة مقاطعة بني هاشم ، وعرفت في التاريخ بالصحيفة الظالمة.[8]

(ج)-**الشعر الجاهلي**: وردت هذه اللفظة في شعر لقيط بن يعمر الإيادي :

سلام في **الصحيفة** من لقيط ☆ إلى مَنْ بالجزيرة من إياد[9]

وكذلك ذكرت في شعر لعدي بن زيد العبادي ، وصف فيه قصّة (الزباء) و(جذيمة) و(قصير) حيث يقول :

ودست في صحيفتها إليه ☆ ليملك بضعها ولأنّ تدينا[10]

كما وردت هذه اللفظة في شعر لبيد بن ربيعة :

عَفَا الرَّسْمُ أم، بعد حَوْلٍ تَجَرَّما ☆ لأسْمَاء رَسْمٌ كالصَّحيفَةِ أَعْجَمَا[11]

ورُوِيَ أنّهم كانوا يقيّدون ديونهم في صحف وقد حفظ لنا الشعر الجاهلي هذا الضرب من الصحف التي يسجّل فيها الدين قال عِلباء بن أرقم من بني بكر بن وائل :

أَخَذْتُ لِدَيْنٍ مُطْمَئِنٍّ صحيفة ☆ وخالفت فيها كلَّ مَنْ جَارَ أو ظلمْ[12]

وكان من عادة الجاهليين تدوين أحلافهم في صحف ، توكيدا للعهد وتثبيتا له وقد أشير إلى ذلك في الشعر وفي الأخبار ، ورد في شعر قيس بن الخطيم.[13]

لما بدت غُدوة جباههم ☆ حنت الأرحام **والصحف**[14]

وعرف العرب لفظة (مجلّة) ووردت في أشعارهم فهذا النابغة الذبياني يمدح الغساسنة ويذكر الإنجيل فيقول :

مجَلَّتُهم ذاتُ الإله وَدِينُهم ☆ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ العواقب[15]

وثبت-أيضا أنّ العرب كانوا في جاهليتهم يتعلّمون القراءة والكتابة ، ولاسيما في الحواضر كالحيرة واليمن ودومة الجندل والطائف ومكّة والمدينة بل كان بعضهم يتعلّم الكتابة بلغة أخرى غير العربية . كزيد العبادي وابنه الشاعر عدي بن زيد ومثلهما لَقِيط بن يعمر إذ كان هؤلاء يكتبون بالعربية والفارسية ويعملون مترجمين في بلاط كسرى . وكان ورقة بن نوفل يكتب بالعبرية[16] وكان عرب الحواضر من يكتب بالقلم المسند اليمني ، ومن يكتب بقلم النبط وبقلم بني إرم ، ومن يكتب بقلمين أو أكثر.[17]

وبعد بعثة النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم ونزول أوّل آيات من القرآن الكريم تحث على القراءة وتنسب العلم للقلم وأقسم الله به في قوله تعالى نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ القلم وبالكتاب في قوله تعالى : وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ (الطّور)

تدلّ هذه الآيات على مكانة الكتابة والقراءة في الإسلام وانبرى المسلمون إلى تعلّمها ونشرها وكانت فدية الأسرى المشركين الذين يعرفون الكتابة في غزوة بدر تعليم عشرة من صبيان المسلمين .

وازدادت هذه الحركة نشاطا في العصر الإسلامي ، فكان في المدينة ومكّة كتاتيب يتعلّم فيها الصِّبية القراءة والكتابة ، وكان في جملة من اختلف إليها عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه- وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وكان من معلّمي القراءة والكتابة في المدينة الحكم بن سعيد بن العاص ، وجفينة العبادي[18]

ولما كان النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-أمّيا (لا يقرأ ولا يكتب)-أجمع على ذلك عامة المؤرّخين والباحثين بدليل قوله تعالى : (**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**)-فقد اتخذ النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- كتّابا لتدوين القرآن فور نزوله واشتهر منهم الصحابة-رضوان الله عليهم- : أبو بكر وعثمان وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعدّهم بعض المؤرّخين إلى ثلاثة وأربعين كاتبا وبلغ بهم آخرون إلى ستين كاتبا .

واستغرق نزول القرآن من الزمن ثلاثة وعشرين عاما ، هي جملة العمر الذي تكامل فيه الوحي وتمّت كلمات الله جمعا في كتاب عظيم نزولا وترتيبا بين سوره وآياته : روى البخاري عن عائشة-رضي الله عنها- أنّها قالت :"لبث النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- بمكّة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا".

ثانيا : تحديد معنى النقط والإعجام : معنى نقط المصحف أو الأحرف الهجائية عموما هو : وضع نقط على بعض الحروف التي وردت إلينا وضع نقط عليها فوقها أو تحتها أمّا الشكل معناه : وضع الحركات المعروفة : فتحة أو ضمّة أو كسرة ... الخ من الحركات بالطريقة المعروفة لدينا الآن . نحن أمام مصطلحين الإعجام والشكل فما معناهما ؟ :

الإعجام : إعجام الكتاب : نقطه . قال في القاموس : أعجم فلان الكلام : ذهب به إلى العجمة ، والكتاب : نقطه وعجّمه (أي بتخفيف الجيم وتضعيفها) .

والمعروف أنّ المصحف العثماني لم يكن منقوطا ، وذلك للمعنى الذي أسلفناه وهو بقاء الكلمة محتملة لأن تقرأ بكلّ ما يمكن من وجوه القراءات فيها.

بيد أنّ المؤرخين يختلفون ؛ فمنهم من يرى أنّ الإعجام كان معروفا قبل الإسلام ولكن تركوه عمدا في المصاحف لضرورة ومصلحة : حتى يكون الرسم محتملا لكلّ قراءة مأثورة عن رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- ومنهم من يرى أنّ النقط لم يعرف إلاّ من بعد على يد أبي الأسود الدُّؤلي . وبرجوعنا إلى المصادر وبعد بحث وتقصّ ، وجدنا أنّ وضع النقط كمصطلح قد عرف تطورا كبيرا إذ في القديم كان يعبّر عنه بـ(إعجام الحروف) أي : وضع نقطة عليه في اصطلاح المحدثين ليزيل عجمته أي إبهامه ؛ لأنّ معنى (أعجم) في اللغة : أزال العجمة فقولهم : أعجموا (الباء) بنقطة تحتها أي أزالوا التباسها بـ(التاء)التي لها نقطتين فوقها.

شكل المصحف : أمّا التشكيل فقد عبروا عنه—قديما-بالنقط والسبب في ذلك أنّهم لما وجدوا حروف المصحف مكتوبة مجرّدة من ضبط كيفية نطقها لأنّهم كانوا في الصدر الأوّل يتلقون القراءة بالمشافهة ولا يجدون مشقة في القراءة الصحيحة إذ يعتمدون على سليقتهم.ومن هنا نشأ وَهْم بين أبناء العربية وتضاربت آراء الدارسين متسائلين من أين أخذوا هذا ، أمن اليونان أم من السريان ؟ ...الخ من الأسئلة التي تنمّ عن شخصية مهزوزة ترجع كلّ شيء مبتكر إلى الأمم الأخرى إلاّ لنفسها فلا . . !

شكل الكتاب في اللغة رديف لإعجامه ،وقد عرفنا أنّ الإعجام هو النقط قال صاحب القاموس ما نصّه: والكتابَ (أي: وشكل الكتابَ: أعجمه كأَشْكَلَهُ كأنّه أزال عنه الإشكال.[19] ثمّ شاع استعمال الشكل في خصوص ما يعرض للحروف من حركات(كالنصب والضم والكسر أو سكون . والمناسبة بين المعنيين ظاهرة لأنّ في كلّ منهما إزالة لإشكال الحرف ودفعا للبس عنه .

لقد كان يعتقد أنّ الكتابة العربية في أوّل نشأتها لم تعرف النقط والشكل وأنّ المصحف بقي غير معجم أي غير منقوط استمر خاليا من النقط حتى زمن عبد المالك بن مروان ممّا جعلنا نضع سؤالا نراه وجيها وهو : هل عرفت الكتابة العربية النقط والشكل قبل نقط المصاحف ؟ وإذا كانت قد عرفته الكتابة العربية قبل : لما لم تثبت أثناء كتابة المصاحف؟ هذه الأسئلة قرّت في النفس لم نجد منها فكاكا حتى فتح الله أثناء البحث في بطون الكتب ما أزال الحيرة فظهر لنا وجه كان حقّا علينا أن نعرضه بأدلّته التي توصلنا إليها.

(1)-من المصطلحات المعبرة عن معنى: كتب ونقش وختم لفظة[رقم]. و(كتاب مرقوم) بمعنى مكتوب ، وأمّا المرقم فالقلم لأنّه يرقم به[20] وذكر بعض علماء اللغة أنّ الرقم : الخط الغليظ وقيل : تعجيم الكتاب. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (كتاب مرقوم)المطففين/9 ، وذكر أنّ الرقيم معناه الكتاب . والكتابة والختم.[21]

يقول علماء العربية:"رَقَم الكتاب : أعجمه وبيّنه ، أي نقطه وبيّن حروفه ، وكتاب مرقوم : قد بيّنت حروفه بعلاماتها من التنقيط"[22]ورقمت الكتاب رقما أعجمته والثوب وشيته ورقم الحية ورقم رقما ورقمة علا السواد لونه .[23] رقش الحية رقشة ورقشا علاها نقط سواد وبياض.[24] وإنّ الإعجام التنقيط بالسواد مثل التاء عليها نقطتان ، وأنّ التنقيط بمعنى وضع النقط على الحروف أي : إعجامها.[25] وهذا الدليل على أنّ العرب قد عرفوا الإعجام والتنقيط منذ العهد الجاهلي ما يلي.

(أ)-في هذا المعنى ، أي الرقم والترقيم والرقيم ترد لفظة (الترقين) ، و(الرقن) و(المرقون) و(الرقين) و(ترقين الكتاب : المقارنة بين السطور ، وقيل : نقط الخط وإعجامه ليبيّن ، وأيضا تحسين الكتاب وتزيينه).[26]

(ب)-ووردت لفظة (المنمق) وجملة (الكتاب المنمق) في شعر ينسب لسلامة بن جندل.[27]

لمن طلل مثل الكتاب المنمق ☆ عهده بين الصُّليب فمطرق

وبرجوعنا إلى الشعر الجاهلي مرّة أخرى-وهو ديوان العرب-نستنطقه ونبحث في ثناياه عن معرفة العرب كلمة(نقط ، نقش وغيرها من الكلمات التي لها صلة بالنقط والشكل)فنجد أنّ كثيرا من الشعراء استعملوا لفظ نقط ، ونقش وغيرها ، قال أبو ذؤيب :

عَرْفْتُ الدِّيَارَ كَرقْمِ الدَّوا ☆ةِ يَزْبِرُهَا الكَاتِبُ الْحِمْيَرِيُّ

بِرَقْمٍ وَوَشْيٍ كَمَا زُخْرِفَتْ ☆ بِمِيشَمِهَا الْمُزْدَهَاةِ الهَدِيُّ[28]

وورد في الأمالي: والرّقش : جمع أرقش ورقشاء وهي المنقّطة ، ويقال: رقشت الكتاب رقشا ورقّشته إذا كتبته ، قال طرفة بن العبد:

كَسُطُورِ الرَّقِّ رقَّشَه ☆بالضُّحَى مُرَقِّشٌ يَشِمُه

وقال مُرَقِّش الأكبر واسمه ربيعة : وبهذا البيت سمي مُرَقِّشًا .

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما ☆ في ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَم [29]

قال الأعلم الشنتمريّ : وقول طرفة بن العبد : "كسطور الرّقّ" : شبه رسوم الربع بسطور الكتاب ، معنى رقّشته : زينه وحسنه بالنقاط.[30]

وخير ما يدعم مسألة معرفة العرب النقط والإعجام منذ عهد بعيد:تلك الوثيقة البردية التي يرجع تاريخها إلى سنة 22هـ على عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وهي مكتوبة باللغتين العربية واليونانية . والذي يهمّنا من هذه الوثيقة أنّ بعض حروفها ورد منقوطا معجما مثل : الخاء والذال والزاي والشين والنون.[31]

(2)–كره القوم نقط القرآن مبكّرا فهذا الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود يقول: "جرّدوا القرآن ولا تخلطوه بشيء.[(32)] وورد أنّ الداني نفسه كان يعترف بوجود التمييز بين النّص المجرّد والحركات التي تزاد عليه للتوضيح : "فلا يستجيز النّقط بالسّواد لما فيه من التّغيير لصورة الرّسم ولا يستجيز جمع قراءات شتّى في مصحف واحد بألوان مختلفة لأنّه من أعظم التّخليط والتّغيير للرسم.[33]

(3)–قد عُثِر على قول أورده أبو بكر بن العربي في كتابه (العواصم من القواصم) قال: وكانت هذه المصاحف تذكرة لئلا يضيع القرآن، وتبصرة لئلا يضلّ الخلق بالاختلاف فإنّهم لو قرأوا آخرا كما كانت قراءتهم أوّلا لم ينضبط الأمر وكان الخرق يتّسع والاختلاف يقع، فنسخ الإجماع الرفق المتيسر في أوّل الإسلام بالمصلحة المتحققة آخرا في ضبط الأمر، ورده إلى القانون الذي نزل القرآن عليه، فكانت المصاحف أصلا والقراءة رواية أقرّت الصحابة و التابعين وكان نقل المصحف إلى نسخه على النحو الذي كانوا يكتبونه لرسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–كتابة عثمان : زيد بن ثابت وأبيّ وغيرهم من غير نقط ، ولا ضبط، واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف نوع من الرفق في القراءة باختلاف الضبط وفي أثناء النقل اختلفت المصاحف وفي أحرف يسيرة... [34]

إنّ قول أبي بكر بن العربي فيه غموض يحتاج إلى فضل بيان يوضّحه فوجدنا خير موضّح له يقول ابن الجزري : "و**جرّدت** هذه المصاحف جميعها من النّقط والشّكل ليحتملها ما صحّ نقله وثبت تلاوته عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرّد الخطّ ، وكان جملة الأحرف التي أشار إليه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–بقوله : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقرّ عليه في العرضة الأخيرة ".[35]

وقال: ثمّ إنّ الصحابة لما كتبوا تلك المصاحف **جرّدوها من النّقط والشّكل** ليحتمله مما يكن في العرضة الأخيرة ممّا صحّ عن النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم–وإنّما أخلوا المصاحف من النّقط والشكل لتكون دلالة الخط على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوّين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين ،فإنّ الصحابة تلقوا عن رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم– ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعا ، ولم يكونوا ليسقطوا شيئا من القرآن الثابت عنه–صلّى الله عليه وسلّم–ولا يمنعوا من القراءة به.[36]

تعليق: إنّ فيما أورده ابن الجزري ما يدلّ على أنّهم كانوا يعرفون النقط والشكل وإلاّ لما كان لقوله **"جرّدوه من النّقط والشّكل"**معنى ودلالة الفعل [**جرّد**] هو القيام بالفعل بتحقق القدرة على فعله ولكنْ نَكَب عن فعله بإرادته ، ثمّ إنّ هناك تعليلَ انصرافهم عن(النقط والشكل) ليكون محتملة ما لم يكن في العرضة الأخيرة.

(5)- ما روي عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- قال : "جرّدوا القرآن ليربوَ فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم.." وقد جاء شرح الزمخشري لهذا القول : أنّه "أراد تجريده من النّقط والفواتح والعشور لئلاّ ينشأ نشء فيرى أنّها من القرآن".[37]

هذه الأدلة الثلاثة تنبئ أنّ النقط كان معروفا قبل كتابة المصحف الإمام ،وعُدِلَ عنه لضرورة وجُرِّد القرآن منه تجريدا متعمّدا ، والنصوص التي أثبتناها تدلّ أنّ التجريد المقصود كان متعمّدا ، وأنّ القرآن الكريم جرّد من النقط لقصد ممّا يدلّ دلالة قاطعة أنّ النقط والشكل كانا معروفين قبل كتابة المصحف .

إنّ الأدلة التي أثبتناها –ونعني بها الأقوال الثلاثة الزمخشري ، وابن العربي وابن الجزري أوّل ما أوقفنا عند أمر النقط ، ممّا دعانا إلى الجوس في الكتب بحثا عن روايات لها صلة بهذا المسألة فكان لنا من الأدلّة ما يدعم هذا المسعى ، ويحقق هذا الوجه :

أوّلا- ما رواه الفراء قال: حدّثني سفيان بن عُيَيْنة رفعه إلى زيد بن ثابت قال: كتب في حجر [سرها ، ولم س] وأنظر إلى زيد فنقط على الشين والزاي أربعا وكتب "يتسنه" بالهاء.[38]

ثانيا –وروي عن ابن عباس قال : " أوّل من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان ، وهي قبيلة سكنوا الأنبار ، وأنّهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطّعة وموصولة ، وهم : مرامر ابن مرّة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة –ويقال مروة وجدلة – فأمّا مرامر فوضع الصور ، وأمّا أسلم ففصل ووصل وأمّا عامر فوضع الإعجام"[39]

ثالثا –وروي أنّ أبا حاتم السجستاني قال: "مرامر بن مرّة من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابة العربية ومن الأنبار انتشرت"ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثمّ قال: قال ابن البر : الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني أنّه مرامر بن مرّة.[40]

رابعا –قال الكلبي: وضع الخط ثلاثة نفر : مرامر بن مرّة بن ذروة ، وأسلم بن شدرة وعامر بن حدرة : فمرامر وضع الصورة . وأسلم : فصل ووصل . وعامر : أعجم وأشكل.[41]

تعليق: إن صحّت الرواية المسندة إلى ابن عباس-رضي الله عنهما-فهي دليل واضح على أنّه كان يعرف الإعجام، وأنّ من قبله كانوا يعرفونه، وكذلك عدم دليل أيضا على أنّ ابن عباس كان يعرف الإعجام وإلاّ لما قبل الناس رواية الراوي .

يقول محمّد خير الحلواني ومن المؤكّد أنّ النّقط بدأ في عصر الصّحابة وقبل أن يكتب المصحف الإمام في عهد عثمان بن عفان-رضي الله عنه- فقد ذكر دكتور Grohman أنّه وجد حروفا منقوطة في وثيقة من وثائق البردي يرجع عهدها إلى سنة اثنتين وعشرين للهجرة .ولدينا وثيقة تاريخية ثابتة عن وجود نقط في أيّام عثمان ، فقد نقل الفراء عن سفيان بن عيينة أنّ زيد بن ثابت وجد حجرا مكتوبا عليه قوله تعالى : (سرها ولم س) فنقط زيد على الشين والزاي أربعا ، وأضاف هاء إلى الكلمة الأخيرة .يضاف إلى هذه الوثيقة أنّ بعض الصحابة كان يكره النّقط ويدعو إلى تجريد المصحف منه ، كعبد الله بن مسعود،وعبد الله بن عمر، وأنّ الفراء رأى في مصحف عبد الله بن مسعود (تبينوا) منقوطا بالثاء .[42]

ولعلّ الوثيقة التي ذكرها Grohman هي الوثيقة البردية التي أشرنا إليها وقلنا : أنّ عمر بن الخطاب كتبها باللغتين العربية واليونانية ، وأنّ حروفها كانت منقوطة.

وبعد أن تيقنّا أنّ اللغة العربية عرفت النّقط والإعجام قبل كتابة المصاحف وإنّ عدم نقطها كان أمرا مقصودا ولمصلحة، فقد اختلفوا في مسألة مَنْ نقط المصحف: هل هو أبو الأسود الدؤلي أم يحي بن يعمر أم نصر بن عاصم ؟ وأفاض صبحي صالح –رحمه الله- (وغيره) في بحث هذه المسألة حتى أعياه البحث فلم يصل إلى جواب كاف فأثنى–رحمه الله- عنان القلم وقال: لئن تعذّر الحكم بأنّ أبا الأسود الدؤلي أو يحي بن يعمر أو نصر بن عاصم كان أوّل من نقط المصاحف، فلا يتعذّر القول بأنّهم أسهموا جميعا في تحسين الرسم وتيسير قراءة القرآن على الناس، ولا ريب بعد هذا أنّ الحجاج– مهما تختلف آراء الناس فيه–ومهما تك نياته الشخصية-قد قام بعمل عظيم لا سبيل إلى إنكاره في الإشراف على نقط القرآن ، والحرص عليه .[43]

وكلّما امتدّ الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بتيسير الرسم القرآني ، وقد اتخذ هذا التيسير أشكالا مختلفة ،. فكان الخليل بن أحمد أوّل من صنّف النقط ،. ورسمه في كتاب وذكر علله ،. وأوّل من وضع الهمزة والتشديد والرّوم والإشمام.[(44)] وبتأليف أبي حاتم السجستاني كتابه عن نقط القرآن وشكله اقترب رسم المصاحف من الكمال ، وما أن حلّت نهاية القرن الثالث الهجري حتى بلغ الرسم الغاية من الجودة والحسن.[(45)] وكان عمل هؤلاء العلماء مقصورا على النقط والشكل من دون أن يغيّروا في صورة الكلمة فبقي ما اختلف فيه بين الرسم والرواية على ما هو عليه وظلّ يرجع في معرفته إلى الرواية وإلى كتب رسم القرآن وذلك في مثل: (جاىء –جاء) في مصحف مكّة ، ومثل(لا اذبحنه) النمل/21 بزيادة اللف الأولى في جميع المصاحف.

والظاهر أنّ النقط والإعجام موضوعان مع الحروف يبعدان الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف وقد روي أن الصحابة جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط ولو لم توجد في زمانهم لما يصح التجريد منها.[46]

- الخاتمة:

ويستنتج مما سبق أنّ النقط والشكل في المصاحف اتبع فيهما انتهاج رواية أهل بلد المصحف وقراءتهم التي تلقوها من مبعوثي عثمان-رضي الله عنه- مما يدلّ على أن العربية عرفت النقط والشكل والإعجام قبل نزول القرآن الكريم ، وإنما دعت الضرورة إلى تجريد المصحف الإمام اقتضاء للمصلحة وليشمل كلّ اللهجات العربية التي نزل القرآن الكريم بها .

هوامش البحث:

[1] -كتاب الأغاني ، أبو فرج الأصبهاني ، 119/2

[2] -كتاب الأغاني ، أبو فرج الأصبهاني ، 127/6 . شرح المعلقات السبع ، التبريزي ، ص: 128 . سيرة ابن هشام ، 41/1 (أمية بن الصلت شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم وبقي على جاهليته)

[3] - ديوان عبيد بن الأبرص ، ص: 123

[4] - ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر للنشر ، ص: 56

[5] - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد عليّ ، 256/8

[6] - المفضليات ، المفضل الضبي ، ص: 743

[7] - المفصل في تاريخ العرب ، جواد عليّ 258/8 * (تنبيه : وقد رجعت إلى ديوان أبي ذؤيب أنّ البيت مروي برواية أخرى). عرفت الديار كرقم الدوا ة يزبرها الكاتب الحميري (ديوان الهذليين ، 64/1

[8] - سيرة ابن هشام ، 375/1

[9] - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، 129/1

[10] - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، 152/1

[11] - ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر للنشر ، ص: 195

[12] - الأصمعيات ، ص: 63

[13] - الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد عليّ، 268/8

[14] - ديوان قيس بن الخطيم ، ص: 19

[15] - ديوان النابغة الذبياني ، ص:79

[16] - المفصل في تاريخ العرب ، جواد عليّ ، 248/8-290

[17] - المفصل في تاريخ العرب ، جواد عليّ ، 108/8

[18] - المفصل في تاريخ العرب ، جواد عليّ ، 292/8-301

[19] - قاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مادة (شكل)

[20] - تاج العروس ، 315/8 وما بعدها مادة : (رقم) . كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، 652/1

[21] - بلوغ الأرب ، 371/3 . واللسان ، ابن منظور ، 248/1 مادة : رقم

[22] – تاج العروس ، الزبيدي ، 315/8 مادة : (رقم)

[23] –كتاب الأفعال ، أبو القاسم بن جعفر السعدي ، 39/2

[24] –كتاب الأفعال ، أبو القاسم عليّ بن جعفر السعدي ، 42/2

[25] – تاج العروس الزبيدي ، 234/5 مادة : (نقط)

[26] – تاج العروس الزبيدي ، 218/9 ، مادة : (رقن)

[27] – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد عليّ 279/8 . انظر : الأصمعيات ، ص: 146

[28] – ديوان الهذليين ، ص: 64 ، قال ابن قتيبة : أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد بن محرّث جاهلي إسلامي ، وكان راوية لساعدة بم جؤية الهذلي ، وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات . وذكر العيني بعد ما نسبه إلى هذيل ، قال :كان مسلما على عهد رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم– ولم يره . ديوان الهذليين ، ص:64

[29] – الأمالي في لغات العرب : أبو علي القالي ، 250/2–251

[30] – ديون طرفة بن العبد ، ص: 69

[31] – مصادر الأدب الجاهلي ، ناصر الدين الأسد ص: 40

[32] – أخرجه أبو عبيد ، انظر الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 290/2

[33] – النقط ، أبو عمرو الداني ، ص: 133

[34] – العواصم من القواصم ، أبو بكر بن العربي ، 1481/1

[35] – النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 7/1–8

[36] – النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، 33/1

[37] – الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، 186/1 ، تحق البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1945 ومناهل العرفان ، الزرقاني ، 1/

[38] – معاني القرآن ، الفراء ، 172/1

[39] –كتاب المعمرين من العرب ، أبو حاتم السجستاني ، ص: 49

[40] – عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، 43/1

[41] – محاضرات الأدباء ، الراغب الأصبهاني ، 96/1 ، وهو ما ذكره القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، وأورد روايات كثيرة كلّ تثبت أنّ العرب عرفوا الكتابة والنقط والشكل منذ العهد الجاهلي ، وقد تضافرت الروايات فعاضدت بعضها بعضا .

[42] – المفصل في تاريخ النحو العربي ، محمّد خير الحلواني ، 68/1

[43] – مباحث في علوم القرآن ، صبحي صالح ، ص: 94

[44] –كتاب النّقط ، أبو عمرو الداني ، ص: 133

[45] – مباحث في علوم القرآن ، صبحي صالح ، ص: 94

[46] – أبجد العلوم ، 272/2